ساطع الحصري ابن عائلة من حلب، ابوه محمد هلال، درس في الأزهر وعمل في المحاكم الشرعية في حلب. بسبب نجاحه عين رئيس محاكم وقد ولد ابنه الثالث ساطع بن محمد هلال الحصري عام وقد أمضى ساطع الحصري اول 13 سنة من حياته متنقلا مع عائلته من اليمن ثم طرابلس الغرب ثم عودة الى اليمن ثم الى كونيا. الترحال لم يدرس ساطع في مدارس رسمية، وقد تلقى تعليمه في البيت حيث كانت اللغة الرئيسية المستخدمة هي التركية بالإضافة الى العربية (فقط عام 1919 اصبحت لغة ساطع الحصري الاساسية العربية). وقد تعلم ساطع الحصري الفرنسية من اخويه أ 1893 الى مدرسة في استنبول مخصصة لإعدادُ رِسل ساطع الحصري عام 1893 وقد أمضى 7 سنوات في هذه المدرسة وقد اهتم بالعلوم المختلفة فقرأ في علم النبات والرياضيات وتاريخ الدولة العثمانية واستكمل دراسته عند انهاء المدرسة قضى 8 لهذه المواد في البلقان. الفترة بدأت اهتماماته في المواضيع الاجتماعية والسياسية. كلف في عام 1909 ادارة دار المعلمين في استنبول. عمله سافر عامي 1911–1910 الى اوروبا للتعرف على مناهج التعليم في اوروبا، أ أشد المدافعين عن تطوير نظام التعليم والتركيز على الفرد وتنمية الروح العلمية والابداعية عند الاجيال الجديدة. كان من أنصار الاصلاحات في الدولة العثمانية والاستفادة من العلوم الغربية واعادة تأصيل الوطنية بين العثمانيين وكانت نماذج فرنسا، وقد كان من أقوى المدافعين عن الفكرة العثمانية. لكن في أعوام 1919–1918 بدأ يتجه باتجاه العروبة. فشل الدولة العثمانية بالاصلاحات وتصاعد القومية التركية دفع ساطع الحصري العربي باتجاه العروبة. خرج من سوريا مع الملك فيصل الأول، والتحق به بعد ذلك في العراق حيث تولى شؤون المعارف والثقافة.ُجرد من جنسيته العراقية وأخرج من العراق عام عمل مستشارا للجنة الثقافية في جامعة الدول العربية. أسس معهد الدراسات العربية العالية في ةâالقاهرة عام 1953 وأصبح مديرا له، والذي سمي فيما بعد معهد البحوث والدراسات العربية. * الوطنية والقومية الوطنى ري ومن المع لوم أن الوطنية هيâفرد البشâربط الفـâي تـâة التـâات الاجتماعىâم النزعâن اهâة مâوالقومى ا.âطني نحوهâاط بـâعور بارتبـâحب الوطن، وال شعور بارت باط باطني ن حوه، والقوم ية هي حب الأ مة، والش الأرض، والأمة– في حقيقة الأمر– إنما هي جماعة من البشر. فنستيطع أن نقول – بناء ع لى ذ لك – إن الوطن ية: هي ارت باط ة لاقوم الوطنىâدد أن مفهâذا الصâي هâه فـâب ملاحظتâا تجâن، مâال فرد بقط عة من الأرض تعرف باسم الوطن، ولك ي الحقيقة– عن مفهوم القومية كل هذا الا ختلاف. بطبيع ته، حب المواطنين الذين ينت مون ا لى ذ لك ا لوطن،âف – فـâيختل ك ما أن حب الأ مة يت ضمن – في الو قت نفسه – حب الأرض التي تعيش عليها تلك الأمة. ولهذا السبب يتقارب مفهوم وâومين هâذين المفهâة هâا بماهىâيط علمâا أن نحâا إذا أردنâر انâرا. غىâا كبىâة تقاربـâوم القومىâالوطنية مع مفه نââة مââولهم " جماعââاع بقââوق والاجتمââاء الحقââا علمââية يعرفهââة سياسââة هيئââة. فالدولâوم الدولâمفه ر، يعيشون في أرض معينة مشتركة: مؤلفين هيئة سياسية مستقلة ذات سيادة". يظهر من هذا التعريف المجمل أن مفهومâالبش ينâل بـâط واصâة خâك بمثابـâون ذلâرى، فيكâة أخâن جهâة مâوم الأمâالدولة يرتبط بمفهوم ا لوطن من ج هة وبمفه ا عل فالأرض التي تسود عليها تلك الدولة تكونâومين، التاريخ، بل إنه يلبس أ شكالا متنو عة، ون حن كما يلي: لهâذين المفهâه ب فعليا، فيكون الوطن "مجموع الأرا ضي ال تي تـâن مطالâا عâف مطالبهâة، ولا تختلâوطنا للأمة بأجمعها، في هذه ً الحال احâلا ترتâعيش على ها الأ مة، والوطن ية ت من الوجوه. كل وا حدة من ها م ستقلة بنفسها، ففي وتسعى ا لى ربطها جميعها ف ام بل ت نزع ا لى إن شاء دو لة عا مة تج مع وتو حد ت لكâة تمâات الراهنâى الوطنىâة – الâذه الحالâي هâة – فـâالقومى اتِ الراهنة الخاصة.âع الوطنىâوق جمىâمو فـâكال. تسâا لدول المت عددة ب شكل من المصدر: ساطع الحصري، * الأش بو و من ال بديهي انâذكورة، فتصâة المâان الراهنâن الأوطâى مâم وأعلâع وأعظâالي" أوسâوي مثâن معنâتول "وط فـâل تختلâاق، بـâام الانطبـâة تمâى الوطنىâق علâديمً بين تنطبـâب توâا تتطلâا، لأنهâّ القوم ية – في هذه الحا لة – لا ة، المرقوب الى جانب مطالبـâان الخاصâالح الاوطâى مصâة علâة العامâالح الأمâا مصâا اختلافـâعنه الأوطان الراهنة. وتاب عة لدو لة أجنب ية عن ها، ت فرض الدو لة الحاك مة ع لى جم يع أ فراد الأ مم الخا ضعة ل ها "وطن ية عامة واسعة النطاق"، وتطلب منهم أن يرتب طوا ب ها وب سائر الأ مم الخاضعة ل ها بر باطً الى الاستقلال عن الدولة المذكورة، المعارضة، يصبون الى الانفصال عن الامة الحاكمة ويسعون وراء تكوين دولة خاصة ب هم. فى حدثً من أ هداف فتكون مرامي اâة، بينمâالقومية حين ئذ أضيق نطاقا فإن الوطنية التي تغذيها الدولة تطلب من أ فراد الا مة الارت باط بجم يع ارا ضي الدول ره. تجعلهم يتوقون ا لى الانفصال عن الدو لة الâم دون غىâاص بهâم الخâام بالقسâى الاهتمâؤلاء علâل هâة تحمâالقومى مذكورة – و عن الأ مم الأ خرى ال تي تؤلفها– أصغر من الدولة القائمة. فنستطيع أن نقول : إن القومية في هذه الحالة ترمي ا لى

Summarized by © lakhasly.com

ت كوينً من الوطنية الراهنة العامة. وطنية جديدة خاصة أضيق نطاقا وموزعه بين عدة دول أجنبية عنها. ومن الطبيعي أن كل رادةع أفـةل جمىةدولة من هذه ا لدول الحاك مة ـ وتع مل ع لى ولكن روح القومية في تلك الأمة المجزأة تعارض ذ لك وتحم ة الحالة الراهنة. وذلك بالاستقلال عن جميع الدول الحاك مة من ج هةى مقاومةذكورة علةام المةع الاقسةي جمىةة فـةالام وبالات حاد فى ما بين ها من جهة أخرى، لتكوين دولة قومية جديدة، تجمع أقسام الامة المتجزئة تحت لواء وا حد، هذه هي الأ رة ـةة الحاضةي الحالةويدية ـ فـةة السةشكال السيا سية الأسا سية ال تي ت حدد علا قة الا مة بالدو لة وا لوطن، إن الام رز وأما الامة الالمانية قبل اتحادها سنة 1870 فكانت من أحسن الامثلة على الشكل الثاني، والأمة البلغارية في ع هد خةن أبـةم ضوعها للدو لة العثمان ية كا نت من أمث لة الشكل الثالث، الحرب العالمية الأولى ـ فكانت من أحسن نماذج الشكل الرابع. أثيرةى تـةم الةا ينضةرى، وتأثيرهةيتبين من ذ لك ك لهـ: ان القوم ية تنط بق ع لى الوطن ية تارة، وتخت لف عن ها تارة أخ رةا نظةا وألقينةروق جانبـةذه الفـةا هةا اذا تركنةرى، ولكننةا اخةأثير احيانةك التـةالف ذلةا، ويخةة احيانةالوطنى يةل التـةم العوامةن أهةبحت مةة أصةول: ان القومىةتطعنا ان نقةة، اسةائع التاريخىةير الوقةى سةة علةإجمالى ً دول وت الوسطى وفي القرنين الأولين من ال قرون الأخ يرة ـ فكان الأوروب يون أنفسهم يرب طونةور الةي تطةؤثر فـةت زد على ذلك أنهم كانوا ً ولا يفرقون بينهما أبدا ً وثيقا مفهوم الوطن بمفهوم الدولة ربطا ً فالوطن ية حين ئذ لم تكن تعني شيئا غير دانةت البلةا كانةر مةالارتباط بالملك والمملكة، إنها كانت تتطلب الخدمة في سبيل وبذل المال والنفس في سبيل إ وكثى اتـةن المقاطعةة مةت مقاطعةا انتقلةة، واذا مةى مملكةة الةن مملكةم، ومةى حكةم الةن حكةل مةار تنتقةوالامص ن وبتعب ير آ خر: كان يترتب عليهم ـ حينئذ ـةبح مةان يصةباب ـ كةذه الاسةل هةرى ـ لمثةى اخةة الةن مملكةم ةةؤون الدولةةديرون شةةن الله، وىةةوب مةةان يكتسبوا وطنية جديدة مختل فة عن وطن يتهم ال سابقة. موه ا تفكك أوصال بعض الدول من جهة، وات حادهد التـةذلك شةيئة الله.ً فأخذت الاعتقاد ثم زال، ولةةة بمشةةوالرعى أقسام ب عض الا مم من ج هة أ خرىـ، ت حت تأثير النزعات القومية، ـ كما شهد تغلب حقوق القوميات ع لى الح قوق ال تي كا نت ت عزى قلنا أن الوطنية والقومية من النزعات الاجتماعية، أن كل واحدة منهماـ مثل سائر النزعات النفسيةـ تولد بعض بعض الأعمال. إن الانسان يحب أمتهـ تحت تأثير النزعةةةام بـةةى القىةةم علةةالعواطف وتؤدي الى بعض وتحمله القوميةـ ويشعر نحو ها بارت باط قل بي فيفرح لكل ما يزيد مجدها، ويتألم من كل ما يقلل قوت ها. إنه ى صبو ا لى رؤيت ها قو ية وناه ضة، ويفت خر بأمجاد ها، تحت تأثير النزعة الوطن ية، فى فرح ل سعادته، ويتفجع عند نكبته، ويسعى لخدمته. اذا كةةل. ذلةةب الأهةةوطن، فحةةب المةةىـ حةةل. الأولةةوطن والأهةةب المةةى حةةاسـ الةةاقتضى الحال. الاس فناه. كما أن حب الأمة انما يتولد من توسع نطاق حب الأهل. كما ينظر ا لىةةذي وصةةلأن ك ما وألفهم في صغره وصباه. ال اه لهـ وأ هل بلد ته ك فرع من ال مواطنين. وى حب كما كان يحب بلدته وأهل بلدته، ويفتخر بوطنه وبأمته، ببلدته وبأهله وبذويه. ومع هذا يجب أن يلاحظ في هذا ال صدد: ان علا قة ال مرء بالوطن لا تن شأ من كما تنشأ علاقته بمسقط الرأس، وذلك لأن الفرد لا يكون قد شاهدـ ً من الوطن، ولذلكً صغيرا عادةـ إلا قسما تن شأ من عوا مل فكر ية أكثر مما تنشأ من أسباب ضـةى بعةهم الةب بعضةبعض وتحبـةهم بـةراد بعضةربط الافـةي تـةل التـةحسية ومادية. إن العوام والت شابه في العوا طف والعوا ئد، والتما ثل في ذكر يات الماضي ونزعات الحال وآ مال الم ستقبل. وتكون الأمم والأوطان. و ة،ةادات الدينىةيدخل الفرد في تلك الجماعة. وكل مظهر من م ظاهر الح ياة الاجتماع ية ـ من الأ سرة والمه نة والاعتق نةرد مةل فـةخاصة، وتكون منهم جماعات ومجتمعات متنوعة، متلائم وبعضها متنافر، بعضها تابع وبعضها متبوع. وك دفوعةه مةير وكأنةه يسةذه وهذه الروابط وتجعلةن هةواع مةدة أنةه بعةاء نوعةن أبنةات مةرتبط بجماعةراد، ىةالأف دةة المتولةدة، ومجذوب بجواذب متنوعة. تخت لف بين فرد وفرد، ولكنا اذا لاحظنا أنواع ا لروابط القوميةدوافع عدىةب اريخ . وتستتبعها استتباعا إن أول ما يخطر على البال ـ ويلفت النظر ـ في هذا الصدد، ويزع مون أنةة والتـةدة اللغةن وحةم ع الابحاثةحيح. لأن جميةاس صةى أسةتند الةن لا يسةذا الظةر أن هةا، " غيةدادنا، آباؤنةولهم: "اجةو لذلك كق العلمية ـ الم ستمدة من ح قائق ال تاريخ و من مكت شفات ع لم الان سان ومكت سبات أصل واحد فعلا، ولا توجد على الارض أمة خالصة الدم تماماً. علم الا قوام ـ لا ت ترك م جالا لل شك في أ نه لا يو جد ع لى و جه الب سيطة أ مة تن حدر من والاجناس، كا نت أى ضا متخال طة ومتداخ لة جدا. وتأكيد: أن وحدة الأصل والدم في الأمم انما هي من الأو هام ال تي ا ستولت ث الاصل والنسل.ةن حيةين مةانوا متجانسةار. كةان، ولا البلغةع لى الع قول من غير ان تستند الى دليل أو برهان. ولا الالم

Summarized by © lakhasly.com

بل أن كل واحدة من هذه الأمم انما تكو نت من تداخل وت مازج ع شرات الاقوام. حتى الأمة الفرنسية نفسها لا تنحدر من أصل واحد. هذه الا مة ال تي كا نت أ سبق الأمم الاوروبية الى تكوين وحدة سياسية قوم ية، ح تى هذه الأ مة نفسها ان ما تكو نت من ا ختلاط عدد كب ير من الا قوام والاج ناس. للشك فيها أن عدد الأقوام التي كونت فرنسيي اليوم يت جاوز ال ستين. ول هذا فإن نا اذا قار نا سكان شمال فرن سا ب سكان جنوب ها ـ من ح يث الأو صاف البدن ية والخ صائص الجن سية ـ وجدنا بينهم بونا زââثلا ـ للانكلىââدي مââشاسعا جدا، فإن م شابهة أ هالي ب عض المقاط عات ال شمالية ـ كلبرى تاني والنورمان ائر وبخاصة أهالي المقاطعات الجنوبية. انني‌ââالي سââابهتهم لأهââن مشââر مââر بكثىââان، أكبـââوالالم أشبه الأمم من هذه الوجهة بالأنهر العظى مة. كثيرة المنابع وعديدة الروافد بوجه عام، واذا ما بحث نا عن من بع ن هر من الان هر، فان ما نفعل ذلك بالنسبة الى ما هو الغالب والاساسي، ولا نعني بذلك أن جم يع م ياه الن هر تأتي من منبع واحد فعلا. ما اذا كان بى نه و بين شك سبير أو ن يوتن أو ميل تون راب طة أ صل ون سب، و مع ذ لك فا نه ً ويفتخر بهم أكثر مما يفتخر بأجداده الحقيقيين. و ً ويعتز بهم ً له وأسلافا ومع هذا يعتبر هؤلاء كلهم أجدادا أكثر مما يعتز ببني أسرته الاقربين. يربطنا شيء من أواصر ب أنâك يجâع ذلâا حâري. ولكنâلاء المعâي العâالقرابة والنسب بسعد بن أبي وقاص مثلا، أو خالد بن الوليد، أو أب ىâبة الâع، بالنسâو الواقâذا هâى إن المهم في القرابة والنسب ليس رابطة الدم في حد ذاتها، وهâؤلاء والâى هâب الâننتس واء: ان ً الاعتقاد بوحدة الأصل ـ والشعور بالقرابة ـ في تكوين الامم، سواء أكان ً هاماâد سâى حâات علâراد والجماعâالاف يعمل عملا لأن القرابة بين أفراد الأمم تكون قرابة نفسانية معنوية، ً للحقيقة أم أكثر مما تكون جسمانية ومادية. ومن البديهي أنه لا يجوز ل نا أن نكت في بتقر ير هذه الحقى قة، بل ى جب على نا أن نسعى لتعليلها أيضا: ى جب على نا أن نب حث في الو قت ة، هي اللغة والتاريخ، فإن الاعتقاد بوحدة الأ صل ان ما يكون في الدرجة الأولى منâنفسه عن كيفية تو لد هذه القرا بة المعنوى يâامين بشâاملين الهâذين العâن هâد مâل واحâأثير كâدرس تâالوحدة في اللغة والاشتراك في التاريخ. فلن لا وا لتكلم ان ما هوâي فضâم هâراد، ثâين الأفâاهم بâطة التفâر. واسâة التفكىâيل. ه من ال ناس. آلâن التفصâم ن الأجداد الى الاحفاد، ومن الاسلاف الى الاخلاف. واللغة التي ينشأ عليها الانسان، تكيف تفكيرهâنوع من التفك ير الج هري. وم بكيفيات خا صة، ً فإن اللغة التي يسمعها المرء منذ صغره، تؤثر في عواطفه أيضا تأثيرا لغة التنويمات والأغاني التي ت هز م شاعره م نذ طفولته، و لذلك ت جد أن و حدة الل غة ً من الوحدة في التفكير وفي الشعور، الروابط الفكرية والعاطفية، الأفراد راد سواهم، فيؤلفون بذلك أمة متميزة عن الأ مم الأ خرى. أن نقول لذلك:âوع الافâد مجمâي ان نجâن الطبيعâبالجماعات. فم أن الأمم يتميز بع ضها عن ب عض ـ في الدر جة الأو لى ـ بلغت ها، وان ح ياة و صارت تتكلم تكون قد فقدت الحياة واندمجت رى،âة أخâى أمâتولي علâم تسâض الامâاريخ، أن بعâا التâرا يرينâفي الأمة التي اقتبست عنها لغتها الجديدة. كثى ا إن هذا الاستيلاء يفقد الأمة المغلو بة ا ستقلالها، ولك نه و ما دا مت متميزة من الأمة المستولية عليها بهذه اللغةâعها ً مâوتخض ا تستطيع أن تفلت من سجنها هذا، لأنها تبقى حية بحياة لغتها، وتظلâا، انهâى لغتهâافظ علâي تحâة التâالخاصة. المحكوم محافظة على كيانها كأمة، برغم أن ها ت كون قد فقدت شخ صيتها ولكن الامة المذكورة اذا فقدت ـ بمرور الز مان ـ لغت ها الخا صة واقتب ست وتب نت لغة الدولة المستولية عليها، أعطتها لغتها الجديدة، فلا يبقى ثمة أمل لعودتها ا لى الحر ية والا ستقلال. انها بمثابة محور القومية وعمودها الفقري، و هي انما ت شعر بذاتها وتكون شخصيتها بوا سطة تاريخ ها ال خاص. ع ندما أ قول ال تاريخ، لا أقصد بذلك التاريخ المدون في الكتب، ـ التاريخ المدفون بين صحائف المطبو عات والمخطو طات، بل ً تقبل.âال المسâوض وآمâأقصد بذلك التاريخ الحي في النفوس، انها تؤدي الى تمثل وإن وحدة هذا التاريخ تولد تقارباً ً النه د أنâمن القرابة المعنو ية وتكون هذه القرا بة المعنو ية أشد تأثيرا النفوس، من القرابة المادية بدرجات. الشعور والوعي، نج ة، وتبذل ما استطاعت من الجهود لأجل اقصاء ذ لك ال تاريخ عن الأذ هان. تعمل، على إل هاءââتولية والحاكمâم المسâالأم الاذ هان بو قائع تاريخ ها هي وب هر الان ظار بشع شعة التاريخ المذكور. وأ ما اليقظات القوم ية، ب عد ع هود الح كم الأجن بي، ة أنâذه الأمâتطيع هâبع كس ً خاصا يتبيّن من كل ما تقدم: ان اللغة والتاريخ، هما العاملان الاصليان ال لذان يؤثران وتس ا لغتها، فلا يبقى سبيل ا لى عودت ها ً عن استعادتها الوعي والشعور. ُميّز بعضها من بعض لا تنحصر ً واضحâتعيد وعيهâتس اâذكورين آنفâيين المâامليين الأساسâأثير العâورا تâأثير طâك التâعف ذلâذه ً وتضâم هâفي اللغة والتاريخ، ً إن أه يâة التâات الخاصâف والنزعâض العواطâهم بعâي نفوسâديدا فâالعوامل، هو الدين. ويث ير لأن الدين يولد نوعا ً ش ربطâي تâة التâروابط الاجتماعىâم الâن أهâة مâذه الوجهâن هâر مâدين يعتبâأثيرا فالâالهم تâي أعمâؤثر فâت

Summarized by © lakhasly.com

هم ببعض، وتؤثر بذلك في سير السيا سة وال تاريخ. ع لى هذا الم نوال، لا ى جري ع لى وت يرة وا حدة في كلâراد بعضâالأف ذلك: انâول لâتطيع أن نقâرى. ونسâة أخâن جهâالاحيان. بل ان هذا ال تأثير يخت لف باختلاف الاد يان من ج هة، والادوار م ن ى جب على نا أن نلا حظ في أساسيين: الأديان القومية، والأديان العالمية. ومعتن قو هذه الأدâات مâان بالقومىâة الأدىâعلاق يان يعتقدون بإله خاص بهم دون غيرهم، ويزعمون أنه يحميهم دون سواهم. و لذلك فأنهم لا بل بعكس ذ لك ى سدون أ بواب هذا ا لدين في وجوه سائر الاقوام. ولا حا جة ا لى ال قول أن أم ثال هذه ا لديانات الخا صة، ت كون بمثا بة أديان قومية بكل معنى وم ترابطا علىâراد القâد أفـâوام، فتزىâك الاقâدى تلâة لâاة الدينىâالكلمة، اللغة وال تاريخ، و لذلك ك لهـ ن جد أن الحى ةâوم أن الديانâن المعلâية. مâة الاساسâر القومىâن عناصâوام مâؤلاء الاقâي هâترابطهم وتماسكا على تماسكهم. ف كâن ذلâف عâوال تختلâن الاحâان ا ولكâي الأدىâرائيلية، وكثيرا من الأديان الوثنية القديمة كانت من هذا القبيل.ً فـâالاس را بل بعكس ذلك تفتح أبوابها لجميع الاقوام، وتدعو الى اعتناقها جميع الانام، على اختلافـâذهً كبىâة، لأن هâا لعالمىâاختلاف لغاتهم وأجناسهم. وتم يل ا لى اى جاد وتخ لق بذلك نو عا من ال جو الاع مى ا لذي ى حيط

Summarized by © lakhasly.com